أ د بشلاغم يحي
قسم علم النفس
جامعة تلمسان
السداسي الأول/ ماستر 1 علم النفس العمل والتنظيم وتسيير الموارد البشرية
اسم وحدة التعليم: الاستكشافية
اسم المادة: التوجيه المهني وبناء المشروع

نشأة و تطور التوجيه المدرسي والمهني في الجزائر

يعتبر التوجيه المدرسي والمهني مصلحة تقنية تابعة لمصالح وزارة التربية الوطنية، وتظهر أهميته وتتحدد من خلال طبيعة النشاطات والمهام التي أوكلت إليه والوسائل والتقنيات التي يستخدمها موظفوه من أجل تحقيق تلك النشاطات والمهام.

مثله مثل باقي قطاعات النشاط الأخرى خضع قطاع التوجيه المدرسي والمهني منذ نشأته وإلى يومنا لتعديلات وتغييرات وتحسينات في تنظيمه وهيكلته وأساليب تسييره وعمله، بهدف جعله أكثر مسايرة واستجابة للتطورات المسجلة التي تشهدها الجزائر في مختلف الميادين العلمية والتكنولوجية الاقتصادية، السياسية والاجتماعية... فتكوين الفرد المناسب وإعداده بالشكل الجيد والفعّال لمسايرة تلك التحولات والتطورات يبدأ بالتكفل به وإرشاده وتوجيهه التوجيه المناسب والصحيح.

نشأ التوجيه المدرسي والمهني بالجزائر منذ عهد الاستعمار وبالضبط في سنة 1948، حيث كان عدد مراكز التوجيه المدرسي والمهني عقب الاستقلال خمسة(05) مراكز موزعة عبر كامل التراب الوطني ثمّ ارتفع بعد ذلك عددها ليصل إلى تسعة(09) مراكز في سنة 1968 وازداد منذ ذلك التاريخ إنشاء وانتشار تلك المراكز إلى أن شملت تغطيتها كل ولايات الوطن بمعدل مركز واحد على الأقل في كل ولاية.

إن القراءات المتأنية والفاحصة لمختلف المناشير والقرارات الصادرة عن وزارة التربية الوطنية خلال السبعينات وحتى الثمانينات تجعلنا ندرك بأن أولوية الأولويات في مهام التوجيه المدرسي والمهني آنذاك تمثلت في مسايرة نظام التوجيه للتخطيط المسطر من طرف الدولة، وبالتالي فإن الاهتمام برغبات التلاميذ وقدراتهم الفعلية واستعداداتهم وميولهم تصبح نتيجة لذلك مسألة ثانوية، ويظهر ذلك خاصة في تركيز المناشير المتعاقبة على الاهتمام بالجوانب ذات الطابع التقني كحساب معدلات التلاميذ وترتيبهم بهدف قبولهم للمستوى الأعلى.

ولعل الدليل على إعطاء الأولوية للتخطيط في عملية التوجيه هو إسناد مهمة التوجيه على مستوى وزارة التربية الوطنية في سنوات الستينات والسبعينات وحتى نهاية الثمانينات إلى مديريات ومصالح تقترن تسميتها بالتخطيط، بل في أغلب الأحيان يسبق مصطلح التخطيط مصطلح التوجيه من حيث التسمية، ويظهر ذلك جليا من خلال المتابعة التاريخية لتطور التغيرات الحاصلة على تسمية المصالح المركزية المشرفة على قطاع التوجيه المدرسي منذ الاستقلال، حيث انتقلت من المديرية الفرعية للتوجيه والتخطيط المدرسي.سنة 1963، إلى المديرية الفرعية للتنظيم والتخطيط المدرسي، ثمّ إلى مصلحة التخطيط والخريطة المدرسية، ثمّ إلى مديرية التخطيط والتوجيه المدرسي، ثمّ إلى مديرية الامتحانات والتوجيه المدرسي، ثمّ إلى مديرية التعليم الأساسي والثانوي العام والتعليم الثانوي التقني، ثمّ إلى مديرية الامتحانات والتوجيه، ثمّ إلى مديرية التخطيط، ثمّ إلى مديرية الامتحانات والتوجيه، ثمّ إلى مديرية التوجيه والتقويم، ثمّ إلى مديرية التوجيه والتقويم والاتصال.

ولعل المتتبع لمراحل تطور نظام التوجيه منذ الاستقلال وإلى غاية بداية التسعينات يمكنه أن يدرك بأن التعديلات والتغييرات المسجلة على تسمية المصالح المشرفة على التوجيه المدرسي ناتج أساسا عن عدم وجود سياسة توجيهية محكمة ومحددة للقطاع، وبالتالي عدم وجود فلسفة تربوية منسقة ومضبوطة له، كما يمكن أن يستدلّ أيضا من ذلك على عدم وجود تصور موحد وثابت لعملية التوجيه.

إن عملية التوجيه المدرسي منذ الاستقلال وحتى نهاية الثمانينات تقريبا كانت تتم على شكل توزيع للتلاميذ على الأماكن البيداغوجية المتوفرة في كل شعبة من شعب التعليم الثانوي وذلك بهدف التحكم في انتقال التلاميذ من مستوى لآخر ومن طور لآخر، وبناء على ذلك كان التوجيه المدرسي يتمثّل في عملية توزيع للتلاميذ على مختلف التخصصات وبالتالي استجابة عملية لاعتبارات وضغوطات التخطيط من خلال تحديد نسب مئوية مسبقا للعملية، ونتيجة لذلك لا تعطى الأولوية لعمليات التعرّف على التلاميذ من جانب الرغبة والميول والاهتمامات والقدرات والاستعدادات، بل أن المعيار الوحيد لتلك العملية هو النقاط التي يتحصل عليها التلميذ دون سواها.

ومنذ ظهور أمرية 16 أبريل 1976 ومرورا بمرحلة تعميم المدرسة الأساسية في سنة 1980 ووصولا إلى بلوغ التلاميذ مرحلة التوجيه المدرسي في السنة التاسعة أساسي(أي إلى غاية سنة 1989) تميزت تلك المرحلة بنفس النظرة التي كان ينظر إليها لقطاع التوجيه المدرسي سابقا، حيث طغى عليه الطابع الإداري أكثر من الطابع التربوي والنفسي.

على العموم تميزت فترة السبعينيات والثمانينيات بعدم إعطاء التوجيه المدرسي بعده النفسي والتربوي بقدر ما كان يعني القبول والتوزيع على مختلف التخصصات؛ أي طغيان الصبغة الإدارية عليه في تسييره أكثر من الصبغة التقنية.

لقد تم انتظار بداية التسعينات لتسجيل قفزة نوعية في النظرة إلى قطاع التوجيه المدرسي والمهني من حيث غاياته وأساليبه وطرق ممارسته، فبعد إجراء عمليات تقويمية مختلفة لممارسات التوجيه المدرسي والمهني تأكدت ضرورة إعادة النظر في مفهومه وأساليبه وتقنياته، وبذلك بدأ يتحول من حقل التسيير الإداري إلى حقل المتابعة النفسية، التربوية واعتباره وسيلة للرفع من أداء المنظومة التربوية.

إن اقتراحات الملتقى الوطني للتوجيه المدرسي المنعقد في سنة 1991 بسيدي فرج بالجزائر أدرج برنامجا يهتم بتحديد سياسة التوجيه في إطار تطوير المنظومة التربوية الوطنية، ووضع تبعا لذلك التعريف التالي للتوجيه المدرسي: « هو عملية تربوية منظمة ترمي إلى متابعة التلميذ ومساعدته على إيجاد السبل الكفيلة لبناء مستقبله وفقا لقدراته الشخصية واستثمار طاقاته ».

وتبعا لذلك حددت للتوجيه المدرسي والمهني الأهداف التالية:

- مساعدة التلميذ على تصور مشروع حياتي يشمل ميوله بصفة مترابطة، وإتباع خطة محكمة تسمح له بتحقيقه في الواقع(حيث اعتبر ذلك كقفزة نوعية للانتقال بالتوجيه المدرسي والمهني من حقل التسيير الإداري إلى مجال المتابعة النفسية والإسهام الفعلي لرفع المستوى والأداء الفردي للتلميذ).

إن السنة الدراسية 1991-1992 شكلت قفزة نوعية وحاسمة في مجال التوجيه المدرسي والمهني من خلال صدور المنشور الوزاري رقم 91/1241/219 المؤرخ في 1991/09/18 والذي أشار في مضمونه بصراحة إلى:

إن التوجيه قبل تاريخ صدور ذلك المنشور كان عبارة عن وسيلة تسيير إداري للتربية، ممّا يفرض ويحتّم تغيير تلك النظرة ليصبح التوجيه يمتاز أكثر بنشاطاته التربوية عوض الإدارية، وذلك من خلال إدماج مستشاري التوجيه المدرسي والمهني الذين كانوا يعملون على مستوى مراكز التوجيه المدرسي والمهني ضمن الفرق التربوية للثانويات، وبذلك حدّدت لمستشار التوجيه المدرسي والمهني مكانته الفعلية ضمن تلك الفرق.